سلسلة
بيان منهج أهل السنة والجماعة
في التجريبيات

د. أبو الفداء حسام بن مسعود

المحاضرة الأولى

المقدمة

(الجزء الثاني)

المسلمات الوجودية الجارية عليها الأكاديميات التجريبية الغربية بعموم:

أولا: أن للعالم الخارجي وجودا حقيقيا منفصلا عن أذهاننا، وأن له حقيقة واقعية موضوعية عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.

ثانيا: أن في العالم نظاميات سببية Causal Regularities تكسبه قابلية التنبؤ Predictability، على أساس أن حصول الأسباب إذا حصلت، يقتضي حصول المسببات Causes Imply Effects

المسلمات الوجودية الجارية عليها الأكاديميات التجريبية الغربية بعموم:

ثالثا: أن ماضي العالم مناظر لحاضره مطلقا، وكذلك المستقبل.

التوجيه الصحيح للقول بقدم العالم في الملة الدهرية هو أنه القول بتسلسل الأسباب الطبيعية تحت نظام طبيعي كلي أزلي لا بداية له،

وليس هو القول بقدم تلك الهيئة أو الصفة التي نراها الآن لعالمنا كما نعرفه، ولا القول بالقدم النوعي للعالم، ولا ما يقال له "تسلسل الحوادث".

المسلمات الوجودية الجارية عليها الأكاديميات التجريبية الغربية بعموم:

رابعا: أن ما يغيب عنا من أمر العالم، مناظر مطلقا لما هو شاهد تحت الحس منه.

Isotropy / Homogeneity Principle

Thales of Miletus

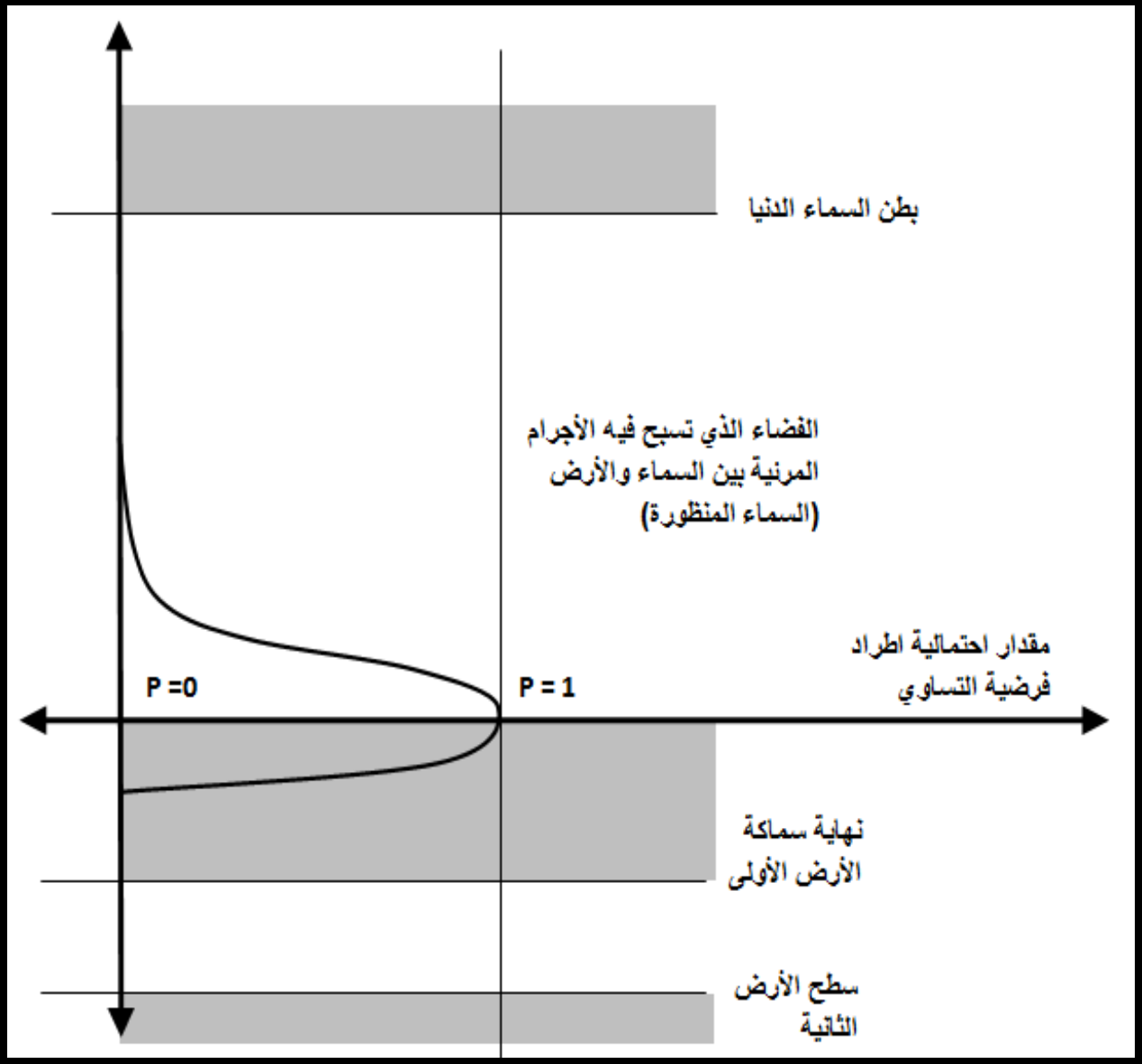
بطن السماء الدنيا
الفضاء الذي تسبح فيه الأجرام
المرئية بين السماء والأرض
(السماء المنظورة)
مقدار احتمالية اطراد
فرضية التساوي
P =0
P = 1
نهاية سماكة
الأرض الأولى
سطح الأرض
الثانية

الاعتقاد الغيبي الوجودي وتأثيره على أنواع التفسير المقبولة معرفيا

ليس في الوجود إلا السبب الطبيعي

- التفسير الطبيعي للحوادث يفيد المعرفة مطلقا
- ما سوى التفسير الطبيعي لا يفيد المعرفة بتاتا

السبب الطبيعي ليس إلا نوعا من أنواع الأسباب

- التفسير الطبيعي للحوادث يفيد المعرفة أحيانا
- ما سوى التفسير الطبيعي يفيد المعرفة بشرطه

المسلمات الوجودية الجارية عليها الأكاديميات التجريبية الغربية بعموم:

خامسا: أن منطق اللغة البشرية صحيح لا غبار عليه.

سادسا: أن الأصل في حواسنا أنها لا تخدعنا، وأنها إن خدعت بعضنا، لم يعجز البعض الآخر عن معرفة ذلك، بل ولم نعجز نحن أنفسنا غالبا عن الحكم بأنها تخدعنا.

المسلمة المعرفية المترتبة على جميع ذلك

العالم قابل للتنبؤ Predictable، وليس فيه موجود إلا يقبل الإدخال تحت معرفتنا البشرية إما بالحس المباشر أو بأنواع القياس على ما يقع تحت الحس.

خلاصة موقف الباحث المسلم من تلك المسلمات الوجودية

(1) وجود العالم الخارجي	مقبولة بلا تحفظ
(2) وجود النظاميات السببية وقابلية العالم للتنبؤ	فيها تفصيل ضروري
(3) التساوي والاطراد الزماني المطلق	يجب تقييدها
(4) التساوي والاطراد المكاني المطلق	يجب تقييدها
(5) سلامة المنطق العقلي البشري	مقبولة بلا تحفظ
(6) دلالة الحس على المحسوس	مقبولة بلا تحفظ

أهم المسلمات الاعتقادية الضرورية لضبط المنهج التجريبي عند المسلمين

أولا: أن الله تعالى خلق السماوات والأرض فركب فيهما طبائع في الأشياء وسننا كونية مطردة وسخر أسبابهما لبني آدم تسخيرا. وأنه سبحانه يخلق ما يشاء ويختار، ولا مكره له من فوقه ولا يجب عليه إلا ما أوجبه على نفسه.

أهم المسلمات الاعتقادية الضرورية لضبط المنهج التجريبي عند المسلمين

ثانيا: أنه ليست تلك الأسباب المحسوسة المستقرأة إلا شطرا ضئيلا من جملة الأسباب التي يتعلل بها كل حادث، التي تبدأ بمشيئة الله تعالى وأمره وقضائه النازل سبحانه. وما يغيب عنا منها (ما بين التغييب النسبي والتغييب المطلق) لا يحصيه ولا يحيط بعلمه إلا الرب سبحانه.

أهم المسلمات الاعتقادية الضرورية لضبط المنهج التجريبي عند المسلمين

ثالثا: أن حوادث نشأة العالم ونشأة الأنواع الحية فيه في الأيام الستة، وحوادث فنائه في آخر الزمان، هذه لا نظير لها في عادتنا ضرورة، ولم تخضع لتلك السنن السببية التي لا يزال الله يقضيها بأمره يدبر بها أمر هذا العالم بعد استوائه على العرش سبحانه.

أهم المسلمات الاعتقادية الضرورية لضبط المنهج التجريبي عند المسلمين

رابعا: أننا إنما نعيش فيما دون سماء واحدة من سبع سماوات مبنية بعضها فوق بعض كالقبة فوق القبة، الله وحده يعلم كيف هي وما الذي قضاه فيها من السنن السببية ((فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)) [فصلت : 12] وأننا نعيش فوق أرض واحدة من سبع أرضين كلها أجرام كروية بعضها في بطن بعض، فنقطع بأنها لا تناظر أرضنا هذه وأننا لم نر لها نظيرا، كما هو الشأن في السماوات الست من فوق سمائنا. فنثبت في جميع ذلك ما جاء به النص ولا نزيد عليه لأنه كله غيب مطلق.

وأما فيما يتعلق بالمسلمات المعرفية فمنها:

أن جميع ما في الفطرة والبداهة من المعارف صحيح ضرورة، مطابق للواقع في نفس الأمر ضرورة، ولا عبرة ولا التفات لرأي أو نظر يخالفه.

أنه لا يزال استقراء العادة يفيدنا باستكشاف العلاقات السببية بين الطبائع وأنواع الحوادث المحسوسة، استكشافا ظنيا في حدود ما بلغه ذلك الاستقراء وتراكمت به الخبرة البشرية في امتداد الزمان والمكان، فيعين على تفسير ما في الماضي القريب دون السحيق، والتنبؤ بما يجري في المستقبل القريب دون البعيد. ويفيد بظن احتمالي تتضاءل قوته كلما بعد موضوع البحث في الماضي أو المستقبل أو في جهات المكان، حتى يبلغ حد التغييب المطلق الزماني والمكاني فلا يتجاوزه لعدم العادة البشرية فيما وراء ذلك الحد.

وأما فيما يتعلق بالمسلمات المعرفية فمنها:

أنه لا يغني التفسير بالمحسوس من طريق الحس والعادة عن التفسير بالمغيب عن طريق السمع والنص، فإن لهذا مجاله المعرفي ولذاك مجاله، وكلاهما علم نافع، وإن كان العلم السمعي أنفع لتعلقه بأمر الآخرة الذي هو أعظم من أمر الدنيا مهما عظم.

أنه لا تقديم لشيء من استقراءات العادة (سواء قوانين التجريبيين أو نظرياتهم أو ما شاكل ذلك) على ما جاء السمع بإثباته ولو بأثر في أدنى درجات الصحة، فضلا عما ثبت ثبوتا قطعيا، لأن استقراء بني آدم ناقص مهما كمل، والأمر كما قال عليه السلام: "صدق الله وكذبت بطن أخيك". فإذا انعقد سبب صحيح لتصديق الراوي فيما يروي، فلا التفات لما يخالفه البتة ولا نرفع به رأسا.

وأما فيما يتعلق بالمسلمات المعرفية فمنها:

أنه لا يخاض في شيء من مطالب البحث التجريبي إلا بعد تمريره على مصفاة الكتاب والسنة وفهم السلف رضي الله عنهم، فما كان مخالفا للعقيدة السلفية الصحيحة، أو كان ضربا من اللغو أو العبث أو التكلف أو التنطع والتعمق الذي لا نفع فيه بموازين الشريعة المطهرة، فهو ممنوع غير مقبول في مبدأ الطرح والسؤال. فكل علم لا ينبني عليه عمل عند المسلم فهو علم لا ينفع، ولا يجوز بذل العمر في طلبه.

والحمد لله رب العالمين

أبو الفداء ابن مسعود

Dr. Hossam Massoud
Assistant Professor, Faculty of Engineering, Ain Shams University